الخصال الكافية

في

الدنيا والآخرة

تأليف

عبد الهادي بن حسن وهبي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدِّمة

إنَّ الحَمدَ لله نَحمَدُهُ وَنَستَعِينهُ وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَمِن سَيِّئَاتِ أَعمَالِنَا، مَن يَهدِهِ الله فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَن لَا إِلَـهَ إِلَّا الله، وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبدُهُ وَرَسولُهُ.

أَمَّا بعدُ: فإنَّ الله ﷻ الكافي عباده جميع ما يحتاجونَ ويضطرون إليه رزقاً ومعاشاً وقوتاً، وحفظاً وكلاءةً، ونصراً وعزاً، الدافع عنهم كلَّ ما يكرهون،

والذي يُكتفى بمعونته عمَّن سواه.

ولقد كان النبي ﷺ يقول إذا أوى إلى فراشه: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممَّن لا كافيَ له ولا مُؤوي**»[(١)].

وفيما يلي نوردُ خصالاً كافيةً في الدنيا والآخرة، والله المسؤول أن يوفقنا للعمل بها، إنَّه وليُّ الهدايةِ والتوفيقِ.

١ ـ تحقيق العبودية:

قال ﷻ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

أي: ألـيسَ مـن كـرمـهِ وجـودهِ،

(١) رواه مسلم (٢٧٥١).

وعنايتهِ بعبده الذي قامَ بعبوديتهِ الظَّاهرةِ والباطنةِ، وامتثلَ أمرهُ مخلصاً ومقتدياً برسول الله ﷺ، واجتنبَ ما نهى عنهُ خوفاً منهُ وإجلالاً ومحبَّةً، فإنَّ الله سيكفيه في أمرِ دينه ودنياه، ويدفعُ عنهُ من ناوأهُ بسوء، ولا يحتاجُ العبدُ في كفايةِ الله إلى غيرهِ.

قال ابن القيم رحمه الله:

وهُو الحسيبُ كفايةً وحمايةً
والحسبُ كافي العبدِ كل أوان[(١)]

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]. وكفى بهذه الآيةِ دليلاً على شرفِ العبادةِ ولزومِ الإقبالِ عليها. فحقيقٌ

(١) النونية (٢/ ٢٣٣).

لمن نصح نفسهُ، وأحبَّ سعادتها، ونجاتها: أنْ لا يشتغلَ إلَّا بالعبادةِ، ولا يتعبَ إلَّا لها، ولا ينظرَ إلَّا فيها.

وذلك أنَّ العبادةَ لله هيَ الغاية المحبوبة له، والمرضية له، التي خلق الخلق لها، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

فهذه التي ينبغي أن يتنافسَ فيها المتنافسون، ويسْتَبِقَ إليها العاملون، ويَجُدَّ في تحصيلها المجتهدون، ويرغبَ فيها الراغبون.

واعلم ـ بارك اللهُ فيك ـ بأنَّ لله تعالى على عبده عبوديةً في النِّعم والمصائب والذنوب. فإنَّ هذه الأمورَ

الثلاثة، لا ينفكُّ عبدٌ عنها أبداً.

فأحَبُّ الخلقِ إلى الله من عرفَ عبوديَّتَهُ في هذه المراتبِ ووفَّاها حقَّها، فهذا أقربُ الخلقِ إليهِ. وأبعدُهم منه مَن جهلَ عبوديَّتَه في هذه المراتبِ كلِّها.

فعبوديَّتُهُ في النعم: الشكر، وهو مبنيٌّ على ثلاثةِ أركان: بالقلبِ واللسان والعمل بالجوارح.

فالشكر بالقلب: الاعترافُ بالنعم للمنعم وأنَّها فضلٌ من الله ونعمة ومنَّة. كما جاء في حديث سيد الاستغفار: «**أبوءُ لكَ بنعمتكَ عليَّ**»[1].

(١) قطعة من حديث رواه البخاري (٦٣٠٦)، عن شداد بن أوس رضي الله عنه.

والشكر باللسان: الثناءُ بالنعم، وذكرها، وتعدادها، وإظهارها. قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ على المنبر: «**من لم يشكر القليل، لم يشكر الكثير؛ ومن لم يشكر النَّاس، لم يشكر الله؛ التَّحدُّثُ بنعمةِ الله شكرٌ، وتركها كُفْرٌ**»[1].

والشكر بالجوارح: أن لا يستعان بالنِّعم إلَّا على طاعةِ الله عز وجل، وأن يحذرَ من استعمالها في شيءٍ من

(١) رواه أحمد (٤/٢٧٨)، وحسَّنه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٦٦٧).

معاصيه. قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

وكان النبي ﷺ يقوم حتى تتفَطَّرَ قدماهُ ويقول: «**أفلا أحبُّ أن أكون عبداً شكوراً؟!**»[1].

العجب ممن يعلم أنَّ كلَّ ما به من النِّعم من الله، ثم لا يستحي من الاستعانة بها على ارتكاب ما نهاه!

وقد أحسن القائل:

أنالك رزقه لتقوم فيه
بطاعته وتشكر بعض حقِّه
فلم تشكر لنعمته ولكن
قويتَ على معاصيه برزقه

(١) رواه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠).

من كثرت عليه النعم فليقيدها بالشكر، وإلَّا ذهبت.

إذَا كنتَ في نِعمَةٍ فارعَهَا
فإنَّ المعَاصِي تُزيلُ النِّعَمْ
وحافِظ عَلَيها بشُكرِ الإلَهِ
فَشكرُ الإلهِ يُزيلُ النِّقَمْ

ولو لم يكن من فضلِ الشُّكرِ إلَّا أنَّ النِّعَمَ بهِ موصولة، والمزيدَ لها مرتبطٌ به لكانَ كافياً، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

فبالشُّكرِ تثبتُ النِّعمُ ولا تزولُ، ويبلغُ الشاكرُ من المزيدِ فوق المأمول.

وإذا وفَّقكَ اللهُ للشكرِ، فهذهِ نعمةٌ تحتاجُ إلى شكرٍ جديدٍ؛ فإن شكرتَ

فإنَّها نعمةٌ تحتاجُ إلى شكرٍ ثانٍ وهلمَّ جرّا؛ ولهذا قال بعضهم:

إذا كانَ شكري نعمةَ الله
عليَّ لهُ في مثلها يجبُ الشكرُ
فكيفَ بلوغُ الشُّكرِ إلَّا بفضلهِ
وإن طالتِ الأيَّام واتَّصل العمرُ

وعبوديَّتُهُ في المصائبِ: الصبرُ عليها.

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله سبحانه: ابنَ

آدمَ! إنْ صبرتَ واحتسبتَ عندَ الصدمةِ الأولى، لم أرضَ لك ثواباً دون الجنَّةِ**»[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وما أعطي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسعَ من الصبر**»[2].

وعن أمِّ سلمةَ رضي الله عنها أنَّها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**ما من مسلم تُصيبهُ مصيبَةٌ، فيقول ما أمرهُ الله: إنَّا لله وإنَّا إليهِ راجعون. اللهمَّ! أجُرني في مصيبتي وأخلف لي خيراً منها، إلَّا

(١) رواه ابن ماجه (١٥٩٧)، وحسّنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٢٩٨).

(٢) رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣).

أخلفَ الله له خيراً منها**»[1].

والصبر: حبسُ النفسِ عن التسخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبسُ الجوارح عن المعصية؛ كاللطم، وشق الثياب، ونتف الشعر، ونحوه.

فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة.

فإنَّ لله تعالى على العبدِ عبودية في الضَّرَّاء ليصبر؛ كما له عبودية في السَّرَّاء ليشكر، والقيامُ بحقوقِ الصبرِ أيسرُ من القيام بحقوقِ الشكر.

ولهذا قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: «ابتلينا مع رسول الله ﷺ

(١) رواه مسلم (٩١٨).

بالضَّرَّاءِ فصبَرْنا، ثمَّ ابتُلينا بالسَّرَّاءِ بعدَهُ فلم نصبر»[1].

أمَّا عبوديَّتُهُ في الذنوب: المبادرةُ إلى التوبةِ منها، والاستغفار، والندم.

فمن كانَ عبداً لله في الحالات الثلاث، «فذلكَ الَّذِي يتناولُهُ قولُهُ تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦].

فالكفايةُ التَّامَّةُ معَ العبوديَّةِ التَّامَّةِ، والنَّاقصةُ مع النَّاقصةِ، فمن وجدَ خيراً فليحمدِ الله، ومن وجدَ غيرَ ذلكَ فلا يلومنَّ إلا نفسَهُ»[2].

(١) رواه الترمذي (٢٤٦٤)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٥٩٣).
(٢) الوابل الصيب (ص٧).

واللهُ المرجوُّ الإجابةَ أن يتولانا في الدنيا والآخرة، وأن يسبغَ علينا نعمهُ ظاهرةً وباطنةً، وأن يجعلنا ممَّن إذا أنعمَ عليهِ شكرَ، وإذا ابتلي صبرَ، وإذا أذنبَ استغفر.

٢ ـ التوكُّلُ على الله:

والتوكُّلُ: هو الاعتمادُ على الله سبحانه وتعالى في حصولِ المطلوبِ، ودفع المكروهِ، معَ الثِّقةِ بهِ وفعلِ الأسبابِ المأذونِ فيها[1].

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]؛ أي: كافيه كلَّ أمورِهِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ.

ومن أصغى إلى هذه الآيةِ بكليَّةِ

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٦٦٦).

قلبِهِ، وتدبَّرها، وتفهَّمها، أغنتهُ وكفتهُ.

قالَ بعضُ السَّلفِ: جعلَ اللهُ ـ تعالى ـ لكلِّ عملٍ جزاءً من جنسهِ، وجعلَ جزاءَ التوكُّلِ عليهِ نفسَ كفايتِهِ لعبدِهِ، فقالَ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، ولم يقل: نؤتِهِ كذا وكذا من الأجرِ، كما قالَ في الأعمالِ، بل جعلَ نفسَهُ سبحانَهُ كافياً عبدَهُ المتوكِّلَ عليهِ وحسبَهُ وواقيَهُ، فلو توكَّلَ العبدُ على[1] ربِّهِ حقَّ التوكُّلِ، بأنِ اعتمدَ بقلبِهِ على ربِّهِ اعتماداً قويَّاً كامِلاً في تحصيلِ مصالحِهِ ودفعِ مضارِّهِ، وقويَت ثقتُهُ وحسُنَ ظنُّهُ بربِّهِ حصلَت لهُ الكفايةُ التامَّةُ، وأتمَّ اللهُ

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٧٦٦ ـ ٧٦٧).

لهُ أحوالَهُ وسدَّدَهُ في أقوالِهِ وأفعالِهِ، وكفاهُ همَّه وجلا غمَّهُ[1].

فهناك لا تسأل عن كلِّ أمرٍ يتيسر، وصعبٍ يتسهل، وخطوب تهون وكروب تزول، وأحوال وحوائج تقضى، وبركاتٍ تنزل، ونقم تدفع وشرور ترفع[2].

فإن قلتَ: فما حقيقة التوكُّلِ؟

قلتُ: هوَ حالٌ للقلبِ ينشأُ عن معرفتِهِ بالله، والإيمانِ بتفرُّدِهِ بالخلقِ، والتَّدبيرِ والضَّررِ والنَّفعِ، والعطاءِ والمنعِ، وأنَّهُ ما شاءَ كانَ، وإن لم يَشأِ النَّاسُ، وما لم يشَأ لم يكُن، وإن شاءَهُ النَّاسُ.

(١) فتح الرحيم الملك العلام (٥٣ ـ ٥٤).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص٩٢٠).

فيوجبُ لهُ هذا اعتماداً عليهِ، وتفويضاً إليهِ، وطمأنينةً بهِ، وثقةً بهِ، ويقيناً بكفايتِهِ لما توكَّلَ عليهِ فيهِ.

فتشبهُ حالتُهُ حالةَ الطِّفلِ[1] الرَّضيعِ في اعتمادِهِ، وسكونِهِ، وطمأنينتِهِ بثديِ أمِّهِ لا يعرفُ غيرَهُ، وليسَ في قلبِهِ التفاتٌ إلى غيرِهِ، كما قالَ بعضُ العارفينَ: المتوكِّلُ؛ كالطِّفلِ، لا يعرفُ شيئاً يأوي إليهِ إلا ثديَ أمِّهِ، كذلكَ المتوكِّلُ لا يأوِي إلَّا إلى ربِّهِ سبحانَهُ[2].

(١) تهذيب مدارج السالكين (١/٩٦).
(٢) تهذيب مدارج السالكين (٢/٥٤٠).

ومن كانَ هكذا معَ اللهِ، فاللهُ كافيهِ ـ ولا بدَّ ـ الكفايةَ التامَّةَ.

«فمتى علمَ العبدُ أنَّهُ لا حولَ لأحدٍ ولا قوَّةَ إلَّا باللهِ، فاعتمدَ كلَّ الاعتمادِ على ربِّهِ في جلبِ مصالحِ دينهِ ودنياهُ، وفي استدفاعِ المضارِّ والمكارِهِ واثقاً بمولاهُ، عالماً أنَّه النافعُ الضَّارُ، وأنَّهُ الواقي للشرورِ الجالبُ للمحابِّ والمسارِّ، وأنَّ الخلقَ كلَّهم في غايةِ الاضطرارِ إلى ربِّهِم ونهايةِ الافتقارِ فقطعَ رجاءَهُ وتعلُّقَهُ بالمخلوقينَ، وأنزلَ حوائجَهُ وشؤونَهُ كلَّها باللهِ ربِّ العالمينَ؛ فلْيُبْشِرْ بالكفايةِ التامَّةِ وتيسيرِ الأمورِ،

ويا قرَّةَ عينهِ بالحياةِ الطيبةِ في كلِّ ما يجري به المقدورُ»[1].

فإذا حقَّقتَ هذا في قلبكَ، فاعتمد على الله تعالى اعتماد الغريقِ الذي لا يعلمُ لهُ سببَ نجاةٍ غيرَ الله تعالى.

٣ ـ ثلاثُ خصالٍ:

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثةٌ كلُّهُم ضامنٌ على اللهِ، إن عاشَ رُزِق وكُفِيَ، وإن ماتَ أدخلَهُ اللهُ الجنَّةَ: من دَخَلَ بيتَهُ فسلَّم فهو ضامنٌ على الله، ومن خرجَ إلى المسجدِ،**

(١) المجموعة الكاملة لمؤلفات العلامة السعدي (٦/٩٨).

فهو ضامنٌ على الله، ومن خرجَ في سبيلِ الله فهو ضامنٌ على الله»[1].

قوله: «**ضامنٌ**»: أي صاحبُ ضمانٍ، والضمانُ: الرعايةُ للشَّيءِ، كما يقالُ: تامرٌ، ولابنٌ، أي: صاحبُ تمرٍ ولبنٍ. فمعناه: أنَّهُ في رعايةِ اللهِ تعالى، وما أجزلَ هذهِ العَطِيَّةَ، اللهمَّ ارزُقْناها[2].

قوله: «**كفيَ**»: أي: كفيَ المؤونةَ والمطالبَ الدينيةَ والدنيويةَ.

(١) رواه ابن حبان (٤١٦)، وصحّحه الألباني رحمه الله في «صحيح الموارد» (٣٥٤).
(٢) الأذكار (ص٥٠) للإمام النووي رحمه الله.

قوله: «**فسلَّمَ**»: أي: ألقى السلامَ على أهلِ البيتِ. كما قال النبي ﷺ لأنسٍ رضي الله عنه: «**يا بنيَّ إذا دخلتَ على أهلك فسلِّم، يكُنْ بركةً عليكَ وعلى أهل بيتكَ**»(١).

قوله: «**خرج إلى المسجِدِ**»: أي: يريدُ الصلاةَ.

قوله: «**خرجَ في سبيلِ الله**»: أي: خرجَ غازياً في سبيلِ الله. ويدخلُ في هذا الباب الحديث التالي:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينا نحنُ مع رسول الله ﷺ إذ طلعَ شابٌّ من الثنية، فلمَّا رأيناهُ رميناهُ بأبصارنا،

(١) رواه الترمذي (٢٦٩٨)، وصحّحه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢١٧١).

فقلنا: لو أنَّ هذا الشابَ جعلَ شبابَهُ ونشاطَهُ وقوَّتهُ في سبيل الله! فسمع رسول الله ﷺ مقالتنا فقال: «**وما سبيلُ الله إلَّا من قتل؟ من سعى على والديه ففي سبيل الله، ومن سعى على عياله ففي سبيل الله، ومن سعى على نفسِهِ يُعِفُّها فهو في سبيل الله، ومن سعى مكاثراً ففي سبيل الشيطان**»(١).

٤ ـ همُّ الآخرة:

عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**من جعلَ الهمومَ همَّاً**

(١) رواه البزار «كشف الأستار» (١٨٧١)، وصحّحه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٢٢٣٢).

واحداً ـ همَّ آخرتهِ ـ كفاهُ اللهُ همَّ دنياهُ، ومن تشعَّبت به الهمومُ في أحوالِ الدُّنيا، لم يبالِ اللهُ في أيِّ أوديتها هلكَ»(١).

فقد أبلغَ ﷺ لأمَّتِه في النصيحةِ، وأوجزَ في اللفظِ، بلغتِهِ الفصيحةِ؛ وفي هذا الحديثِ كفايةٌ لمن كان له قلبٌ وفِقهٌ، وهمَّةٌ شريفةٌ، ونيَّةٌ صادقةٌ صحيحةٌ.

فمن جعل همه واحداً هم النجاة يوم المعاد، فإنَّ الله تعالى بمنِّه وكرمه يكفيه سائر همومه.

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كَانَتِ الدُّنيا همَّه،**

(١) رواه ابن ماجه (٢٥٧)، وحسّنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٠٩).

فرَّقَ عليهِ أمره وجعلَ فقرَهُ بينَ عينَيهِ، ولم يأتِهِ منَ الدُّنيا إلَّا ما كُتِبَ لهُ؛ ومن كانتِ الآخرةُ نِيَّتَهُ، جَمَعَ اللهُ له أمرَهُ، وجَعَلَ غناهُ في قلبِهِ، وأتتْهُ الدُّنيا وهي راغمةٌ»(١).

ولله دَرُّ القائل:

إذا جعلتَ الهمَّ همَّاً واحداً

نعمتَ بالاً وغنمتَ راشداً

ولكن ما هي صفات الذين يحمِلون همَّ الآخرة؟

هؤلاء جعلوا نصبَ أعينهم قول النبي ﷺ لابن عمر رضي الله عنه: «**كن في**

(١) رواه ابن ماجه (٤١٠٥)، وصحّحه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٣٢٩).

الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ، وعدَّ نفسَكَ من أهل القبور» [١].

ففرَّغوا قلوبهم للفكر فيما خلقوا له، وجوارحهم للعملِ بما أمروا به، وأوقاتَهم لعمارتها بما يعْمُرُ منازلهم في الآخرة، واستظهروا على سرعة الأجلِ بالمبادرة إلى الأعمالِ، وسكنوا الدنيا وقلوبهم مسافرة عنها، واستوطنوا الآخرة قبل انتقالهم إليها، واهتمُّوا بالله وطاعته على قدر حاجتهم إليه، وتزودوا للآخرة على قدر مُقامِهم فيها، فعجَّلَ لهم سبحانهُ من نعيم

(١) رواه الترمذي (٢٣٣٣)، وصحّحه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (١٩٠٢).

الجنةِ ورَوْحِها أن آنسهم بنفسه وأقبلَ بقلوبهم إليهِ، وجمعها على محبته، وشوَّقهم إلى لقائه ونعَّمهم بقربه، وفرَّغَ قلوبَهم مما ملأ قلوبَ غيرهم من محبَّةِ الدنيا والهمِّ والحزنِ على فوتِها، والغمِّ من خوفِ ذهابها، فاستلانوا ما استوعرَهُ المترفون، وأَنِسُوا بما استوحشَ منه الجاهلونَ[١]. أولئكَ الأقلُّونَ عدداً، الأعظمونَ عندَ الله قدْراً، فلهم نبأٌ وللنَّاسِ نبأ، هم في وادٍ والنَّاسُ في وادٍ.

قال ابن القيم رحمه الله: إذا أصبحَ العبدُ وأمسى ـ وليسَ همُّهُ إلا اللهَ وحدَهُ ـ تحمَّلَ الله سبحانه حوائجَهُ

(١) فوائد الفوائد (ص٤٢٩).

كلَّها، وَحَمَلَ عنه كلَّ ما أهمَّهُ، وفرَّغَ قلبهُ لمحبتِهِ، ولسانَهُ لذكرِهِ، وجوارحَهُ لطاعَتِهِ[١]. فما أطيبَ عيشَهُ! وما أنعمَ قلبَهُ وأعظمَ سرورَهُ وفرحَهُ![٢].

وإن أصبحَ وأمسى والدنيا همُّهُ حمَّلَهُ الله همومَهَا وغمومَهَا وأنكادَهَا، ووكَلَهُ إلى نفسه، فشغلَ قلبَهُ عن محبَّتهِ بمحبَّةِ الخلقِ، ولسانَهُ عنْ ذكره بذكرهم، وجوارحَهُ عن طاعتِهِ بخدمتهم وأشغالهم[٣]؛ فلا قلبٌ يصفو، ولا عملٌ يزكو، ولا أملٌ يحصلُ، ولا راحةٌ يفوزُ بها، ولا لذَّةٌ يتهنَّى بها؛ بل قد حيلَ

(١) فوائد الفوائد (ص٣١٠).
(٢) فوائد الفوائد (ص٨٥).
(٣) فوائد الفوائد (ص٣١٠).

بينهُ وبينَ مسرَّتِهِ وفرحهِ وقرَّةِ عينهِ، فهو يكدحُ في الدنيا كدحَ الوحشِ؛ ولا يظفرُ منها بأملٍ، ولا يتزودُ منها لمعادٍ[١].

واعلمْ يا أخي بأنه «على قدرِ رغبةِ العبدِ في الدنيا ورضاهُ بها: يكونُ تثاقُلُهُ عن طاعةِ الله وطلب الآخرة»[٢].

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من أحبَّ دنياهُ أضرَّ بآخرتهِ، ومن أحبَّ آخرتَهُ أضرَّ بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى»**[٣].

(١) فوائد الفوائد (ص٨٥).
(٢) فوائد الفوائد (ص٣١٥).
(٣) رواه ابن حبان (٢٤٣٧)، وصحّحه الألباني رحمه الله في «صحيح موارد الظمآن» (٢٠٩٣).

وهذا القدرُ الذي حرَّرناه، فيه مَقنَعٌ وبلاغٌ لقوم يعقلون. والله أعلم بالصواب، وإليه المنتهى والمآبُ، وعليه قصد السبيل. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

٥ ـ صلاةُ الضُّحى:

عن أبي الدرداء وأبي ذرٍّ ﷺ، عن رسولِ اللهِ ﷺ، عن اللهِ ﷻ أنَّه قال: **«ابنَ آدمَ! اركَع لي من أوَّلِ النهارِ أربعَ ركعاتٍ؛ أكفكَ آخرَهُ»**[1].

تأمل هذا الحديثَ حقَّ التأمُّلِ. فإنَّهُ حديثٌ عظيم النفعِ، جليلُ القدر، كبير الشأنِ.

(١) رواه الترمذي (٤٧٥)، وصحّحه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (١/ ٢٦٩).

وهو مشتملٌ على خيرٍ كثير، وتجارةٍ رابحة، نحنُ عن فضلها غافلون.

فقد دلَّ هذا الحديثُ على مشروعيةِ صلاةِ الضحى، وعظمِ فضلِها، وكبيرِ موقعِها، والحثِّ عليها، وكثرةِ فوائدِها. وأنَّ من صلَّاها أربع ركعاتٍ أولَ النَّهارِ ابتغاءَ وجهِ الله، فإنَّ الله يكفيه شرَّ آخرِهِ مما يكرهُهُ ـ من الهمومِ والغموم والبلايا ـ بفضلِهِ الكريمِ، الواسعِ العميمِ.

وأيُّ كفايةٍ أجلُّ، وأكبرُ، وأعظمُ، من هذه الكفاية... فلله تلكَ الكفاية، ما أجلَّها وأجملَها، وأدومَها، وأكملَها!!

٦ ـ كثرةُ الصلاة على النبيِّ ﷺ:

عن أُبيِّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه قال: قال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ، أرأيتَ إنْ جعلتُ صلاتي ـ أي: دعائي ـ كلَّها عليكَ؟ قال: **«إذاً يَكْفِيكَ اللهُ تباركَ وتعالى ما أهمَّكَ من دنياكَ وآخرتِكَ»**[1].

هذا حديثٌ من أجلِّ القرباتِ، وأفضلِ الطاعاتِ، وهو حديثٌ جليلُ القدرِ عظيم النفع. مشتملٌ على الكفايةِ في الدارين.

(١) رواه أحمد (٥/ ١٣٦)، وصحّحه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٩٦).

فالإكثارُ من الصلاةِ على النبيِّ ﷺ سببٌ لكفايةِ همِّ الدارَينِ.

فينبغي لطالب الكفاية من هموم الدنيا والآخرة، أن يكثر من الصلاة على النبي ﷺ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«من صلَّى عليَّ واحدةً، صلَّى الله عليه عشراً»**[1].

فانظر إلى هذا الأمر العظيم، والجزاء الكريم. يصلي العبد على الرسول ﷺ واحدةً، فيصلي عليه خالقُ العالم وربُّ الكل ﷻ عشرَ مراتٍ. فهذا ثوابٌ لا يعادلُهُ ثوابٌ، وجزاءٌ لا

(١) رواه مسلم (٤٠٨).

يساويهِ جزاءٌ، وأجرٌ لا يماثلهُ أجرٌ.

ومن نظر بعين المعرفةِ في هذا وفهمَ معناه حقَّ فهمه، استكثر من هذا الخير العظيم والأجر الجسيم، والعطاء الجليل، والجود الجميل. فالحمد لله رب العالمين.

٧ ـ الدعاءُ:

اعلم رحمك الله بأنَّ ملاك الأمر الدعاء، فإنَّ الأمرَ كلَّهُ بيد الله. فينبغي لك أن ترغب إلى مَنِ الأمر بيده ليكفيك همَّ الدنيا والآخرة. وليكن دعاؤك بخضوع وخشوع، وبكاء وتضرع؛ موقناً بأنَّه مطلع عليك، ناظرٌ إليك، سامعٌ لدعائك؛

قريب منك، قادرٌ على إجابتك، لا يتعاظمه شيء.

عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «**ومن استكفَى كفاهُ اللهُ عز وجل**»[1].

فالذي بيده ـ وحده ـ الكفاية، هو حسبك، سيكفيك كلَّ ما أهمك، وما لا تهتم به.

فمن طلبَ الكفايةَ من الله، كفاهُ اللهُ. واللهُ سميعٌ مجيبٌ.

ومن وقعَ في شدِّةٍ وضائقةٍ، فليطلب من الله الكفايةَ، فإنَّ اللهَ يكفيهِ.

(١) رواه النسائي (٢٥٩٤)، وصحّحه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن النسائي» (٢/ ٢٢٧).

فإنَّ الغلامَ المؤمنَ[1] لما أبى أن يرجِعَ عن دينِهِ دفعهُ الملكُ إلى نفرٍ من أصحابهِ ـ أي جماعةٍ من الناسِ ـ وقال لهم: اذهبوا به إلى جبلِ كذا وكذا. جبلٌ معروفٌ عندهم شاهقٌ رفيعٌ؛ وقال لهم إذا بلغوا ذروتَهُ فاطرحُوهُ ـ يعني على الأرضِ، ليقَعَ من رأسِ الجبلِ فيموتَ ـ بعد أن تعرِضُوا عليهِ أن يرجعَ عنْ دينِهِ، فإن رجعَ وإلَّا فاطرحُوهُ.

فلمَّا بلغوا قمةَ الجبلِ فطلبوا منه أن يرجعَ عن دينهِ فأبى، لأنَّ الإيمانَ قد وقرَ في قلبِهِ ولا يمكنُ أن يتحولَ أو

(١) انظر قصة الغلام المؤمن في: «صحيح مسلم» (٣٠٠٥).

يتزحزحَ؛ فلما همُّوا أن يطرحوه قال: «**اللهمَّ اكفنيهم بما شئتَ**». دعوةُ مضطرٍ مؤمنٍ: «**اللهمَّ اكفنيهم بما شئتَ**» أي: بالذي تشاءُ ولم يُعيِّن، فرجفَ اللهُ بهم الجبلَ فسقطوا وهلكوا. وجاء الغلامُ إلى الملكِ فقال: ما الذي جاءَ بكَ أينَ أصحابُكَ؟ فقال: قد كفانيهِمُ اللهُ عز وجل، ثمَّ دفعهُ إلى جماعةٍ آخرينَ وأمرَهُم أن يركَبُوا البحرَ في قرقورٍ ـ أي سفينةٍ ـ؛ فإذا بلغوا لجةَ البحرِ عَرضُوا عليهِ أن يرجعَ عن دينهِ، فإنْ لمْ يفعَل رَموهُ في البحرِ.

فلما توسطوا من البحرِ عرضوا عليهِ أن يرجعَ عن دينهِ ـ وهو الإيمانُ بالله عز وجل ـ فقال: لا! فقالَ: «**اللهمَّ**

اكفنيهم بما شئتَ»؛ فانقلبَتِ السفينةُ وغرقُوا وأنجاهُ اللهُ[١].

ومن كانَ عليهِ دَينٌ، فليتضرَّع إلى الله تعالى ليكفيَهُ همَّ الدَّينِ.

عن عليٍّ ﵁: أن مكاتباً جاءَه، فقالَ: إني قد عجزتُ عن كتابتي؛ فأعنِّي، قال: ألا أعلِّمكَ كلماتٍ علَّمنيهنَّ رسولُ اللهِ ﷺ، لو كانَ عليكَ مثلُ جبلِ صِيرٍ دَيناً؛ أدَّاهُ اللهُ عنكَ؟! قال: **«قل: اللهمَّ! اكفنِي بحلالِكَ عن حرامِكَ، واغننِي بفضلِكَ عمَّن سواكَ»**[٢].

(١) شرح رياض الصالحين (١/ ١٢٢ ـ ١٢٣).
(٢) رواه الترمذي (٣٥٦٣)، وصحّحه الألباني ﵀ في «صحيح سنن الترمذي» (٣/ ٤٦٤).

فهذا دعاءٌ عظيمٌ يقولُهُ من عليهِ دَينٌ وهو عاجزٌ عن أدائِهِ، فإذا قاله واعتنى به أداهُ اللهُ عنهُ مهما كانَ حجمُ الدَّينِ، ولو كانَ مثلَ الجبلِ؛ لأنَّ التيسيرَ بيدِ اللهِ، وخزائنَهُ سبحانَهُ ملأى لا يغيضُها نفقةٌ، فمَن التجأَ إليهِ كفاهُ، ومن طلبَ العونَ منهُ أعانَهُ وهداهُ.

وقوله: «**اللهمَّ اكفني بحلالكَ عن حرامكَ**»، يقالُ: كفاهُ الشيءَ كفايةً، أي: استغنى به عن غيرِهِ؛ فهو يسألُ اللهَ أن يجعلَهُ مكتفياً بالحلالِ، مستغنياً بهِ عن الحرام.

وقوله: «**واغنِني بفضلِكَ عمَّن سواكَ**» أي: واجعل فضلَك ـ وهو ما

تمنُّ بهِ عليَّ من نعمةٍ وخيرٍ ورزقٍ ـ مغنياً لي عمَّن سواكَ، فلا أفتقرُ إلى غيرِك، ولا ألتجئُ إلى أحدٍ سواكَ.

وهذا فيهِ أنَّ العبدَ ينبغي أن يكونَ مفوِّضاً أمرَهُ إلى الله، معتمداً عليهِ وحدَه، مستعيناً بهِ سبحانَهُ، متوكِّلاً في جميعِ أمورِهِ عليهِ، وكفى بهِ سبحانَهُ وكيلاً.

ولا بدَّ معَ الدعاءِ من بذلِ السببِ، والسعيِ الجادِّ لسدادِ الدَّينِ، والعزمِ الصادقِ على الوفاءِ بهِ، والمبادرةِ إلى ذلكَ في أقربِ وقتٍ يتهيَّأُ السدادُ، والحذرِ الشديدِ من المماطلةِ والتسويفِ، فإنَّ من كانَ كذلكَ فحريٌّ به ألا يُعانَ؛ أمَّا من حملَ في قلبِهِ همَّ

الدَّينِ، وكانت له نيةٌ صادقةٌ في أدائِهِ، أعانَهُ اللهُ وأدَّى عنهُ دينَهُ.

عن أبي هريرةَ ﵁ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«من أخذَ أموالَ النَّاس يريدُ أداءَها أدَّى اللهُ عنهُ، ومن أخذَ يريدُ إتلافَها أتلفَهُ اللهُ»**[١].

وعن عائشةَ ﵂ قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«ما من عبد كانت له نيةٌ في أداءِ دَينهِ، إلا كانَ لهُ من الله عونٌ»**[٢].

وعن ميمونةَ ﵂، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«ما من أحدٍ يَدَّانُ ديناً، فعلمَ اللهُ**

(١) رواه البخاري (٢٣٨٧).
(٢) رواه أحمد (٦/ ٧٢)، وصحّحه الألباني ﵀ في «صحيح الجامع» (٥٧٣٤).

منه **أنَّهُ يُريدُ قضاءَهُ إلا أدَّاهُ اللهُ عنهُ»**[1].

فإن صدَقَ العبدُ في عزمهِ وصلحَت نيَّتُهُ تيسَّرَت أمورُهُ، وأتاهُ اللهُ باليسرِ والفرَجِ من حيثُ لا يحتسبُ؛ ومن صحَّ توَكُّلهُ على الله، تكفَّلَ اللهُ بعونِهِ، وسدَّدَ أمرَهُ وقضى دينَهُ[2].

قال الزبيرُ رضي الله عنه لابنِهِ عبدِ الله رضي الله عنه: وإنَّ من أكبرِ همِّي لدَيني... قالَ عبدُ الله رضي الله عنه: فجعلَ يوصيني بدَينهِ ويقولُ: يا بنيَّ إنْ عجَزْتَ عن شيءٍ منهُ

(١) رواه النسائي (٤٧٠٠)، وصحّحه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن النسائي» (٣/ ٢٦٠).

(٢) فقه الأدعية والأذكار (٣/ ١٩٩ ـ ٢٠٣).

فاستعن عليه مولايَ... قلتُ: يا أبتِ من مولاكَ؟ قال: اللهُ. قالَ: فوالله ما وقعتُ في كربةٍ من دَينِهِ إلَّا قلتُ: يا مولى الزبيرِ اقضِ عنهُ دَينَه؛ فيقضِيهِ[1].

وهذا أصلٌ لا مزيدَ عليهِ، وفيه كفايةٌ لمنْ أبصرَ النُّورَ واهتدَى، وعملَ بذلكَ واستغنَى. واللهُ وليُّ التوفيقِ.

٨ ـ دعاءُ الخروجِ من البيتِ:

عن أنسٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«إذا خرجَ الرجلُ من بيتِهِ فقالَ: بسم الله، توكَّلتُ على الله، لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، يقالُ حينئذٍ:**

(١) انظر: صحيح البخاري (٣١٢٩).

هُديتَ، وكُفيتَ، ووُقيتَ، فتتنحَّى لهُ الشياطينُ، فيقولُ شيطانٌ لآخرَ: كيفَ لكَ برجلٍ قد هُديَ، وكُفيَ، ووُقيَ؟»[1].

وقولُهُ: **«إذا خرجَ الرجلُ من بيتهِ»** أي: حالَ خروجهِ من بيتِهِ.

وقولُهُ: **«بسم الله»** أي: بسمِ الله أخرجُ.

وقولُهُ: **«توكلتُ على الله»** أي: فوضتُ جميعَ أموري إليهِ.

وقولُهُ: **«لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله»**

(١) رواه أبو داود (٥٠٩٥)، وصحّحه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٤٢٤٩).

فإنَّ المعنى لا تحوُّلَ للعبدِ من حالٍ إلى حالٍ، ولا قوَّةَ لهُ على ذلك إلَّا بالله؛ وهذه كلمةٌ عظيمةٌ[1] بها تحملُ الأثقالُ، وتكابدُ الأهوالُ، وينالُ رفيع الأحوال[2]؛ وهي كنزٌ من كنوز الجنَّة، وباب من أبوابها.

عن قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: **«ألا أدُلُّك على بابٍ من أبوابِ الجنة؟»** قلت: بلى، قال: **«لا حول ولا قوَّة إلا بالله»**[3].

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٨٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٣٧).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٤٢٢)، والترمذي (٣٥٨١)، والحاكم (٤/ ٢٩٠)، وصحّحه ووافقه الذهبي.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا عبدَ الله بنَ قيسٍ، ألا أدُلُّك على كلمة من كنز من كنوزِ الجنة؟**» فقلت: بلى يا رسول الله، قال: «**قل: لا حول ولا قوة إلا بالله**»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أعلِّمك** ـ أو قال: **ألا أدُلُّك** ـ **على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة؟ تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فيقول الله** عز وجل: **أسلمَ عبدي واستسلم**»[2].

وقولُهُ: «**يقالُ حينئذٍ: هُديتَ وكُفيتَ**

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٤٧٠ و١١/ ١٨٧ و٢١٤ و٥٠٠ و١٣/ ٣٧٢)، ومسلم (٨/ ٧٤).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٥٢٠)، والحاكم (١/ ٥١٧)، وصحّحه ووافقه الذهبي.

ووُقيتَ» يجوزُ أن يكونَ القائلُ هوَ اللهُ، ويجوزُ أن يكونَ ملكاً من الملائكةِ.

وقوله: «**هُديتَ**» أي: إلى طريقِ الحقِّ والصوابِ، حيثُ وفِّقتَ على تقديم ذكر الله تعالى، ولم تزل مهدياً في جميعِ أفعالك، وأقوالك، وأحوالك، بسببِ استعانتِكَ بالله على سلوكِ ما أنتَ بصددهِ، ومن يهدِهِ اللهُ فلا مضلَّ لهُ.

وقوله: «**وكُفيتَ**» أي: كُفيتَ كلَّ همٍّ دنيويٍّ، أو أخرويٍّ.

وقوله: «**ووُقيتَ**» أي: حُفظتَ عن الأشياء الخفية عنك من الأذى والسوء، من شرِّ أعدائِكَ من الشياطينِ وغيرِهم.

وقوله: «**فتتنحَّى عنه الشياطينُ**»

أي: بعدت عنه الشياطين.

وقولُهُ: «**فيقولُ شيطانٌ لآخرَ: كيفَ لكَ برجلٍ قد هديَ وكفيَ ووقيَ؟**» أي: يقولُ أحدُ الشياطينِ لهذا الشيطانِ الذي كانَ يريدُ إغواءَ هذا الشخصِ وإيذاءَهُ: كيفَ لكَ برجلٍ قد هُدِيَ وكُفِيَ وُوقيَ؛ أي: كيفَ لكَ السبيلُ إلى إغواءِ وإيذاءِ رجلٍ نالَ هذه الخصالَ من الهدايةِ والكفايةِ والوقايةِ؟!

وهذا يدلُّنا على عظم شأنِ هذا الذِّكرِ المباركِ وأهميةِ المحافظةِ عليهِ عند خروجِ المسلم من منزلِهِ في كلِّ مرةٍ يخرجُ فيها؛ لينالَ هذهِ الأوصافَ المباركةَ، والثمارَ العظيمةَ المذكورةَ

في هذا الحديثِ[1].

٩ ـ المعوِّذتان:

عن عبدِ اللهِ بنِ خبيبٍ رضي الله عنه قالَ: خرجنا في ليلةٍ ممطرةٍ وظلمةٍ شديدةٍ نطلبُ رسولَ الله ﷺ يصلِّي لنا، قالَ: فأدركتهُ قال: «**قل**» فلم أقل شيئاً. ثم قال: «**قل**» فلم أقل شيئاً. قال: «**قل**» فقلتُ: ما أقولُ؟ قال: «**قل**: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ والمعوذَتينِ حينَ تمسي وتصبحُ ثلاثَ مراتٍ، تكفيكَ من كلِّ شيءٍ»[2].

(١) فقه الأدعية والأذكار (٣/ ٩٦ ـ ٩٨) بتصرف يسير.

(٢) رواه أبو داود (٥٠٨٢)، وحسّنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن أبي داود» (٤٢٤١).

فقد ذكرَ رسولُ الله ﷺ في هذا الحديثِ الصحيحِ العظيم الشأنُ، الَّذي ينبغي لكلِّ مسلمٍ حفظه وتلقِّيه؛ لأن فيه دليلاً على أنَّ تلاوةَ هذه السور عند المساء وعند الصباح ثلاثَ مراتٍ، تكفي التالي من شرِّ كلِّ شيءٍ كائناً ما كان. إنَّها نعمةٌ كبرى ومنَّةٌ عظمى، أن تُكْفَى كلَّ شيء.

إنَّها غنيمة لا يمكِنُ أن تقدَّرَ بثمنٍ، فعليكَ بها، وعضَّ عليها بالنَّواجذ. إنَّها غنيمةٌ بلا حدود، فاسعَ إليها، وقيِّدها بالقيود، ولا تجعلها تفوت.

١٠ ـ آخرُ آيتينِ من سورةِ البقرةِ:

عن أبي مسعودٍ البدريِّ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: **«من قرأ بالآيتينِ من**

آخرِ سورةِ البقرةِ في ليلةٍ، كفتاهُ»[١].

تأمل هذا الحديثَ وما تضمَّنهُ من المعنى الجليلِ القدرُ، العظيمِ الشأنُ، البالغِ في النفع.

وقد وردَ في فضلِ خواتيمِ البقرةِ عدةُ أحاديثَ، نذكُرُ منها:

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: **«أعطِيتُ خواتيمَ سورةِ البقرةِ من بيتِ كنزٍ من تحتِ العرشِ، لم يُعطَهُنَّ نبيٌّ قبلي»**[٢].

وعن عقبةَ بنِ عامرٍ رضي الله عنه قال:

(١) رواه البخاري (٥٠٠٩)، ومسلم (٨٠٨).

(٢) رواه أحمد (٥/ ١٥١)، وصحّحه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٣/ ٤٧١).

سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ على المنبَرِ: **«اقرؤوا هاتين الآيتينِ اللَّتينِ من آخرِ سورةِ البقرةِ، فإنَّ ربِّي عز وجل أعطاهُنَّ** ـ أو **أعطانيهُنَّ ـ من تحتِ العرشِ»**[١].

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّ الله كتبَ كتاباً قبلَ أن يخلقَ السماواتِ والأرضَ بألفي عام، أنزلَ منه آيتينِ ختمَ بهما سورةَ البقرةِ، ولا يقرآنِ في دارٍ ثلاثَ ليالٍ فيقربها شيطان»**[٢].

(١) رواه أحمد (٤/ ١٥٨)، وصحّحه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (١١٧٢).

(٢) رواه الترمذي (٢٨٨٢)، وصحّحه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢٣١١).

فحريٌّ بالمسلم أن يحافظَ على قراءةِ هاتينِ الآيتينِ كلَّ ليلةٍ بتدبُّرٍ وتفهُّم؛ لينالَ هذا الموعودَ الكريمَ، بأن يُكفى من كلِّ شرٍّ يؤذيهِ.

١١ ـ إيثارُ رضا الله على غيرِه:

عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ: **«منِ التمسَ رضَا الله بسخطِ النَّاسِ، كفاهُ اللهُ مؤنةَ النَّاسِ؛ ومنِ التمسَ رضَا النَّاسِ بسخطِ الله، وكلَهُ اللهُ إلى النَّاسِ»**[١].

قولُهُ: **«من التمسَ»** أي: طلبَ.

فإنَّ من أرضَى اللهَ بسخطِهِم كانَ قد

(١) رواه الترمذي (٢٤١٤)، وصحّحه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٥٧٠).

اتقاهُ، وكانَ عبدَهُ الصالحَ، واللهُ يتولَّى الصالحينَ، واللهُ كافٍ عبدَهُ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣]، واللهُ يكفيهِ مؤونةَ النَّاسِ بلا ريبٍ!

وتأمَّل ـ باركَ اللهُ فيكَ ـ ما قالَهُ كعبُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه للنَّبيِّ ﷺ: «ولكنِّي والله؛ لقد علمتُ لئن حدَّثتكَ اليومَ حديثَ كذبٍ ترضَى به عنِّي؛ ليوشكنَّ اللهُ أن يُسْخِطَكَ عليَّ»[1].

ومن أرضَى النَّاسَ بسخطِ اللهِ، بأن وافقَهُم على تركِ ما أمرَ اللهُ بهِ، وفعلِ ما نهَى عنهُ؛ استجلاباً

(١) رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

لرضاهُم، لم يُغنُوا عنهُ منَ اللهِ شيئاً.

وإنَّما يحملُ الإنسانَ على إرضاءِ الخلقِ بسخطِ الخالقِ هو الخوفُ منهُم، فلو كانَ خوفُهُ خالصاً للهِ لمَا أرضاهُم بسخطِهِ، فإنَّ العبيدَ فقراءُ عاجزونَ لا قدرةَ لهم على نفعٍ ولا ضرٍّ البتةَ، وما بهم من نعمةٍ فمنَ اللهِ؛ فكيفَ يحسنُ بالموحِّدِ المخلصِ! أن يؤثرَ رضاهُم على رضاءِ ربِّ العالمين؟ الذي لهُ الملكُ كلُّهُ، ولهُ الحمدُ كلُّهُ، وبيدِهِ الخيرُ كلُّهُ، ومنهُ الخيرُ كلُّهُ، وإليهِ يرجعُ الأمرُ كلُّهُ، لا إله إلَّا هوَ العزيزُ الحكيمُ.

وأيُّ حاجةٍ إلى إرضاءِ مخلوقٍ حقيرٍ ضعيفٍ مَهينٍ، وأنتَ متمكِّنٌ من تحصيلِ رضوانِ الله ربِّ العالمينَ، الكافي عنِ الكلِّ؟

قالَ ابنُ رجبٍ رحمه الله: فمن تحقَّقَ أنَّ كلَّ مخلوقٍ فوقَ الترابِ فهو ترابٌ، فكيفَ يقدِّمُ طاعةَ شيءٍ من الترابِ على طاعةِ ربِّ الأربابِ؟! أم كيفَ يُرضي الترابَ بسخطِ الملكِ الوهَّابِ؟! إنَّ هذا لشيءٌ عجابٌ!![1].

واعلم بأنَّ رضا الله غايةٌ لا تُتركُ، ورضا النَّاسِ غايةٌ لا تُدركُ؛ فتمسَّك بالَّذي لا يُتركُ، ودع عنكَ الَّذي لا يُدركُ[2].

والنَّاصحُ لنفسهِ، العاملُ على نجاتها، يتدبَّرُ هذا الكلام حقَّ التدبُّرِ والتأمُّلِ، وينزلهُ على الواقع فيرى

(١) نور الاقتباس (ص١٠٦ ـ ١٠٧).

(٢) موسوعة المناهي الشرعية (٣/ ٢٦٤ ـ ٢٦٥).

العجب العُجاب. والله المستعانُ، وعليه التكلان، وما شاء الله كان.

هذا ما تيسر جمعهُ من الخصال الكافية في الدنيا والآخرة «ولعلَّها قطرةٌ من بحرٍ بحسب أذهاننا الواقفة، وقلوبنا المخطئة، وعلومنا القاصرة، وأعمالنا التي توجب التوبة والاستغفار»[1].

فنسألُ الله تعالى، وهو خير مسؤول، أن يكفينا وإيَّاكم همَّ الدنيا والآخرة، فإنَّهُ الكافي لكلِّ مهمٍّ، وبيده الخلق والأمر، وهو على كلِّ شيءٍ قدير. ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم.

عبد الهادي وهبي

(١) إعلام الموقعين (١/ ١٧٥).